مباحث صرفية في كتاب (الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج)

الدكتور

بشير محمود فتّاح

Research in derivation in the book (Al- Dibaj to saheah Muslim bin Al- Hajaj)

Dr: Bashear Mahmood Fattah

Al- Siuti ability in derivation and explaining it, his importance in the movement to geen Al- fiel and verbs which have no adddition . That means verbs with no addition . Addition means any letters added to the origion of the verb (Letter or letters) for any purposes .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمـــة

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الخلقِ محمّدٍ ﷺ أفصح من تكلّمَ ونطقَ ، وعلى آله وصحبه فرسان اللغةِ والمنطق ، وعلى مَـنْ تـبعهم ، وصـلحاء الأمّـة الإسلاميّة خير أمّة أخرجت للناسِ ، وبعدُ :

فما أعظمَ أن يصاحب المرء حديث رسولِ الله ﷺ ويرتشف من عذب كلامه الطيّـبِ؛ ذلك أنَّ الحديثَ الشريفَ هو الينبوعُ الذي أمدّ العربيّةَ بعدَ القرآنِ الكريمِ بعطـاءٍ ثـرّ ، وهـو أفصحُ كلام عربيّ بعده ، إلا أنه لم ينل قسطاً كافياً من الدرس اللغويّ والنحـويّ ، ولا يـزالُ يستنهضُ الباحثينَ لتقديم المزيدِ من البحثِ في آفاقه المترامية الأطراف ؛ فجاءَ – بفضـل الله ومنّهِ – كتابُ (الديباج على صحيح مسلم بن الحجّاج لجلال الـدين السـيوطيّ ت ٩١١هـ) موضوعاً لبحثي هذا ؛ لما لهذا الكتاب من قيمةٍ علميّةٍ أصيلةٍ ، ولأنّه مرجعٌ مهمّ وشرحٌ مكملٌ لشروح الحديث التي سبقته كالمُعلم بفوائد مسلم للمازري ، وإكمـال المعلـم بفوائـد مسـلم، ومشارق الأنوار للقاضي عياض ، والمنهاج شرح صحيح مسلم للنوويّ ، وفتح الباري شـرح صحيح البخاريّ لابن حجرالعسقلانيّ ، وعمدة القاري شرح صحيح البخاريّ للعيني ، وغيرها من كتبِ الشروح ، وأهمّ ما نلحظه في مُجملِ عملِ السيوطيّ جُهده اللغويّ في دراسةِ الحديثِ الشريفِ، ويمثل لنا هذا الجهد في شروحهِ وتعليقاتِه على أشهرِ الكتبِ والمسانيدِ ، ومنها كتابُـه (الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج) بتحقيق الشيخ العلامة أبي إسحاق الحويني الأثريّ ، نُشِرَ في دار ابن عفّان في الخبر في السعودية ، ويقع الكتاب في ستة أجـزاء ، وفيـه تجـلٍ واضح لشخصيّةِ السيوطيّ الحديثية من جهات: الدقة فـي النقـل، ونسـبة النصـوص إلـى أصحابها، والإلمام بمظان المسألة الواحدة التي يعالجها ، وكانَ يذكرُ موضـعَ الإشـكالِ ، أو يوردُ نصوصَ العلماءِ مباشرةً في القضيةِ أو المسألةِ التي يعرضُ لها، وقـد يـدوّن تعليقاتِـه وردودَهُ في أثناءِ ذلكَ، أو يكتفي بالنصوصِ المنقولةِ وحدها زادت أم قلّت، ووجـدناه يتوسّـعُ أحياناً في شرحِ الحديثِ الواحدِ، فهو كتابٌ جامعٌ، شاملٌ للفوائدِ ، شافٍ للبدائعِ ، كافلٌ بالنقولِ، وكما قيل : نظمَ فيه من كلِّ درّة فريدة ، وأسفرَ فيه النظام عَنْ وجهِ كلِّ خريدة .

وقد نهضَ بحثُنا هذا بموضوعاتٍ صرفيّةٍ متنوّعةٍ في كتابِ (الديباج) ، وهي:الأبنية ، والفعل المجرّد والمزيد ، وحروف الزيادة ، واختلاف الحركات ، والتشديد والتخفيف ، والقلب المكانيّ ، والاشتقاق ، والجموع ، والتصغير ، والمذكّر والمؤنّث ، والإعلال والإبدال .

وقد أفاد البحثُ من مصادرَ متنوّعةٍ ، فكانت شروحُ الحديثِ لها الحضور الأوسع في هذا العملِ ، وكان للمعجماتِ ، وكتب غريبِ الحديثِ، وكتب الإصلاح اللغويّ الدور الكبير في إغناء المادة اللغويّة، كالعين للخليل، وإصلاح المنطق لابن السكّيت، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والصحاح للجوهري ،والخصائص لابن جني ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ولسان العرب لابن منظور ، وكتب نحويّة وصرفيّة ككتاب سيبويه ، والمقتضب للمبرّد ، وشرح الشافية لرضي الدين الاستراباذي ، وشرح الشافية لركن الدين الاستراباذي ، وكتب التفاسير كالبحر المحيط لأبي حيّان الأندلسيّ .

أرجو من اللهِ أن أكونَ قد وُفّقتُ في بحثي هذا الذي أبغي به وَجْهَ الله ، وخدمةَ الحديثِ النبويّ الشريفِ ، فإنْ كانَ من سدادٍ فيه فمنهُ سبحانَهُ وتعالى ، وإنْ كانَ ثَمة خطأ فمنّي ومنَ الشيطانِ ، وأسألُ اللهَ أن يغفرَ لي زلاتي ، إنّهُ وليُّ ذلك .

اللهُمَّ لا علمَ لنا إلا ما علّمتنا ، فلكَ الحمدُ على ما أنعمتَ ، اللهم أحْسِنْ عاقبتنا في الأمورِ كلّها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذابِ الآخرةِ ... آمين .

مباحث صرفيّة

أطلق العلماء كلمتي (الصرف والتصريف) على العلم الذي يتناول بالتغيير مفردات العربيّة وألفاظها ، وقد نُقلت الكلمتان من المصدرية إلى العلم المدوّن ؛ للمناسبة بين المعنيينِ، فمن عبّر بالصرف راعى أنّه الأصلُ ، والأخصر في اللفظِ والموازن للنحو ، ومن عبّرَ بالتصريف نظرَ إلى كثرة التحويل والتغيير في المفردات التي تنطبق عليها قواعد هذا الفن . وأمّا بحثنا هذا فإنّه يتناولُ موضوعاتٍ صرفيّةً متنوّعةً في كتاب (الديباج على صحيح مسلم بن الحجّاج) لجلال الدين السيوطيّ ، وهي كالآتي :

الأبنيــــة

هي جمع بناء ويُقصد بها هيئة الكلمة من حركة وسكون وعدد حروف وترتيب [1]، وفي العربيّة أبنية كثيرة ومختلفة من فاعل ومفعول وفعيل ومفعال وغيرها من الأبنية الأخرى، وقد حاول العلماء أن يُحصوا أبنية العربيّة ؛ ليعرفوا إن كانت هذه الكلمة أو تلك عربيّة أو غير عربيّة ، وكانَ الخليلُ بن أحمد الفراهيدي أوّل من فعل ذلك، يقول السيوطيّ :"وذكر حمزة الأصفهاني في كتاب الموازنة فيما نقله عنه المؤرّخون قال: ذكر الخليل في كتاب العين أنّ مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع من الثنائيّ والثلاثيّ والرباعي والخماسي من غير تكرار اثنا عشر ألف ألف وثلثمئة ألف وخمسة آلاف وأربعمئة

---

(١) ينظر : أبنية الصرف في كتاب سيبويه - خديجة الحديثيّ ، ط١، منشورات مكتبة النهضة، بغداد ، ١٩٦٩م :١٧ .

واثنا عشر: الثنائي سبعمئة وستة وخمسون ، والثلاثيّ تسعة آلاف وستة وخمسون والرباعيّ: أربعمئة وألف وواحد وتسعون ألفا وأربعمئة ، والخماسيّ: أحد عشر ألف ألف وسبعمئة ألف وثلاثة وتسعون ألفا وستمئة" [١].

ولعلّ المقصود هنا بأبنية كلام العرب الكلمات التي تؤلف الكلام لا الأبنية نفسها ، أي أبنية فاعل ، ومفعول ، وفعيل ، وغيرها من الأبنية الأخرى ، ويدلّ على هذا أنّنا نجد الخليل حين يتحدّث عن مادة معيّنة يذكر ما يستعمل منها وما يهمل كما في (باب الحاء والزاي والفاء معهما: ز ح ف ، ح ف ز ، يستعملان فقط) [٢].

وذُكِرَ عن سيبويه أنّه أحصاها فوجد أنها ثلاثمئة بناء وثمانية أبنية ، واستدرك عليه ابن السرّاج اثنين وعشرين بناءً ، وزاد عليها الجرمي أبنية قليلة وزاد ابن خالويه أبنية أخرى [٣].

واستدرك أبو بكر الزبيديّ على هؤلاء أبنيةً في الأسماء والأفعال فقال:"وكان جلّة المشايخ من أهل النحو فيما رويناه عنهم يزعمون أنّ ما ألّفه منها يستوفي جميع أبنية الكلام ما خلا ثلاثة أبنية شذّت عن جميعه ، واستقصيت البحث عن ذلك وأنعمت النظر فيه ، فألفيت نحو الثمانين بناء لم يذكرها سيبويه في أبنيته ، ولا دلّ عليها أحد من النحويين من بعده فرأيت أن أفردَ في الأبنية كتاباً ألخِّص ذكرها فيه ، وأبدأ بما يجب أن يكون صدراً لها وهي فرع منه مبنية عليه، وذلك أن ابتدئ بذكر أقلّ أُصول الأسماء والأفعال والحروف ، وأكثر أصولها مزيدة ، وأقصى ما تنتهي إليه بالزيادة" [٣] ، ومع ما ذكرنا من استدراك العلماء بعضهم على بعض نجد بعض المحدثين يرى أنّ أحداً لم يحصِ أبنية العربية فهي أكثر ممّا ذكروه ، وممّا استدركوه على الخليل وسيبويه [٤] ، ولما كثُرت هذه الأبنية في كلامهم وزاد استعمالهم لها وضعوا بناء موضع بناء ، وانتقلوا من بناء إلى آخر لا يشبهه في تأدية الغرض الذي وضع

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها - جلال الدين السيوطيّ، تحقيق : فؤاد علي منصور، ط١ ،دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٨: ١ / ٥٩ - ٦٠ .

(٢) ينظر : العين - الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥ هـ) ، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، و د. مهدي المخزومي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠م: ١٦٣/٣ .

(٣) ينظر : البحث اللغوي عند ابن حجر العسقلانيّ ، أطروحة دكتوراه - حسين محيسن البكري ، كلية الآداب –جامعة بغداد ١٩٩٠م : ١٧٥ .

(٣) الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية والزيادات - أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ)، تحقيق: اغنالميوس جويدي ، روما ١٨٩٠م : ١-٢ .

(٤) ينظر : البحث النحويّ واللغويّ عند الإمام النوويّ(ت ٦٧٦ هـ) ، أطروحة دكتوراه – سعد صالح أحمد الأزديّ ، كلية التربية- ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٤م : ١٤١-١٤٢ .

له في أصل وضعه ، فأين بناء (فاعل) من (مفعول) ، ووضعوا بناء ليدلّ على بناءين كما في (فعول) فهو يكون بمعنى (فاعل) تارة ، وبمعنى مفعول تارة أخرى .

وقد كان للسيوطيّ نصيب من هذا الدرس ، فله إشارات إلى هذا الضرب من الدرس الصرفيّ سنشير إليها.

فاعل بمعنى مفعول:

ذكر ابن خالويه أنّه "ليس في كلام العرب فاعل بمعنى مفعول إلاّ قولهم: تراب سافٍ إنما هو مسفيّ ، ومثله عيشة راضية بمعنى مرضية ، وماء دافق بمعنى مدفوق ، وسر كاتم بمعنى مكتوم ، وليل نائم بمعنى ناموا فيه" (١) .

وجعل ابن رشيق هذا الباب من غرائب العربية فقال: "من غرائب هذا الباب أن يأتي اسم المفعول بلفظ الفاعل كقوله تعالى: M© ª » ¬ ® ¯ L(٢)، أي لا معصومَ ، وكذلك قوله تعالى M 8 9 : ; L(٣)، أي مدفوق وقوله تعالىM y z { L(٤)

أي ترضى بها ، وقوله تعالى M \ [^ _ L(٥)، أي تبصر فيها"(٦).

إنّ ما ذكره ابن رشيق من إنّ (عاصم) بمعنى (معصوم) فيه نظر ، فلمَ لا يكونُ (عاصم) على معناه الحقيقي والأصليّ أي فاعل لا مفعول ، لأنّ ابنَ نوح قال قبل هذا فيما يحكيه لنا ربُّنا ﷻ : Mوَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª » ¬ ® ¯ ° ± ² L (٧)، فـ (يعصمني) وقعت موقع (عاصم) ، أي انّه يجوز أن يقال: جبل عاصم ، قال الشيخُ السعديُّ : "فلا يعصم أحداً، جبل

---

(١) ليس في كلام العرب - الحسين بن أحمد، ابن خالويه (ت٣٧٠ هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢ ، دار العلم للملايين – بيروت ، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م : ٣١٧، وينظر: فقه اللغة وسر العربية – الثعالبي (ت٥٤٠ هـ) ، حققه ووضع فهارسه : مصطفى السقا وإبراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط٣ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، (د. ت) : ٣١٠-٣١١ .

(٢) هود /٤٣ .

(٣) الطارق /٦ .

(٤) الحاقة /٢١ .

(٥) الإسراء /١٢ .

(٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٦٤م : ٢٧٩/٢ .

(٧) هود /٤٢-٤٣ .

ولا غيره، ولو تسبب بغاية ما يمكنه من الأسباب، لما نجا إنْ لم ينجه الله" [١].

ومهما يكن من شيءٍ فإنّ من اللغويّينَ من يرى أنّ الأولى أن يكون هذا على النسب كنابل وناشب [٢].

وقد أشارَ السيوطيّ إلى عدد من هذه الصيغ التي جاءت بصيغة فاعل يراد بها مفعول ، كضامن بمعنى مضمون ففي الحديث الشريف : ((تضمّن اللهُ لمن خرجَ في سبيله لا يخرجه إلاّ جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي فهو عليَّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه)) [٣] ، فهو علي ضامن قيل هو بمعنى مضمون كماء دافقٍ أي مدفوقٍ ، وقيل بمعنى ذو ضمان أن أدخله الجنة ، هذا ما ذكره السيوطي[٤] .

ويبدو أنّ الراجح ههنا هو الوجه الثاني ، أعني(ذو ضمان) لاقتصار الشارحين عليه ، ومنهم القاضي عياض الذي قال :" وقوله في المجاهد فهو ضامن على الله أن يدخله الجنة معناه ذو ضمان والضمان الكفالة .... ومعناه أوجب له ذلك وقضاه" [٥].

فعيل بمعنى مفعول:

ذهب قسمٌ من العلماء إلى أنّ فعيلاً يأتي مصدراً وبمعنى فاعل وبمعنى مفعول وصفة مشبّهة [٦]، وعلى الرغم من أنّ هذا الكلام صريح في مجيء فعيل بمعنى مفعول ،إلّا إنّهم لم يبيّنوا لنا متى يأتي وما الفرق بين هذا الوزن وذاك ؟ أهما بمعنى في كل حال أم بينهما اختلاف ؟

يقول د. فاضل صالح السامرائيّ : "أمّا فعيل بمعنى مفعول فيدلّ على أنّ الوصف قد وقعَ على صاحبه بحيث أصبحَ سجيّةً له أو كالسجيّة ثابتاً أو كالثابتِ فتقول: هو محمودٌ ، وهو

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م : ٣٨٢ .

(٢) ينظر : معاني الأبنية- د. فاضل صالح السامرائي ، الكويت ، ١٩٨٠م : ٥٨ .

(٣) صحيح مسلم – أبو الحسين مسلم بن الحجّاج (٢٦١) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار إحياء التراث العربيّ ، القاهرة ، (د.ت) : ١٤٩٥/٣ ،حديث (١٨٧٦).

(٤) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج- جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أبي إسحاق الحويني الحويني الأثري، دار ابن عفان، الخبر- السعودية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م :٤ / ٤٧٢ .

(٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار- القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت٥٤٤ هـ) ، المكتبة العتيقة ، تونس ،دار التراث – القاهرة ،١٩٧٧م :٢ / ٦٠ .

(٦) ينظر: دراسات في علم الصرف - د. عبد الله درويش ،ط٢ ، مطبعة الرسالة – القاهرة ١٩٦٥م : ٥١، ٥١، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٨١ .

حميدٌ ، و(حميدُ) أبلغ من (محمودٍ) ؛ لأنّ حميداً يدلّ على أنَّ صفةَ الحمد له ثابتة ... فصيغة فعيل بمعنى مفعول تدلّ على الثبوتِ أو على معنى قريبٍ من الثبوتِ بخلاف صيغة مفعول الدالة على الحدث" [١] ، وصيغة مفعول قد تكونُ للحال ، وقد تكون للاستقبال فهي تحتملُ معنيين ، أمّا صيغة فعيل فلا تقال إلاّ إذا اتصف صاحب الشيء به ، فلا يقال هو قتيل لمن لم يقتل ، ولكن يمكن أن يقال هو مجروح ، لمن لم يجرح [٢].

ومهما يكن من شيء فهناك فروق ثلاثة بين (فعيل) و(مفعول) هي:

١- الدلالة على أنّ الوصفَ قد وقعَ على صاحبه على وجه الثبوت أو قريب من الثبوت فأصبح كأنه خلقة وطبيعة ، ففعيل على هذا أبلغ من مفعول.

٢- لا يطلق وصف (فعيل) إلاّ إذا اتصفَ به صاحبُه ، فلا يقال أسير إلاّ إذا أُسِرَ ، في حين أنّ مفعولاً قد يطلق على ما اتصف به صاحبه.

٣- أنّ الوصف بـ (فعيل) أشدّ من مفعول [٣].

وقد ذكر السيوطيّ شيئاً من هذا القبيل في أثناء ما شرح ، فمن هذه الأمثلة ما قاله عن (حميل) في قول الرسول ﷺ : ((حرّمَ اللهُ على النارِ أن تأكلَ أثرَ السجودِ ، فيخرجون من النار وقد امتحشوا ، فيصبّ عليهم ماء الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبّةُ في حميلِ السيلِ)) [٤] ، فإنّه جعلَ (حميل السيل) هنا بمعنى محمول فقال: " حميل السيل بفتح بفتح الحاء وكسر الميم : ما جاء به السيل من طين أو غثاء ، ومعناه محمول السيل ، والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته " [٥].

فعيل بمعنى مفاعل:

يأتي فعيل مصدراً أو بمعنى فاعل ومفعول وصفة مشبهة ، ويأتي أيضاً بمعنى مُفاعِل بضم الميم وكسر العين ، كجليس وسمير بمعنى مجالس ومسامر ، فإذا كان فعيل بمعنى فاعل أو مفاعل لحقته تاء التأنيث في المؤنث ، نحو : رحيمة وشريفة وجليسة ونديمة.

وذكر د. عبد الله درويش أن ورود (فعيل) بمعنى مفاعل كثير [٦]، ولم يبيّن معنى هذه الكثرة أيمكن القياس عليها أم لا ؟ إنما اكتفى بذكر أربعة أمثلة، هي حليف ورفيق وجليس وحسيب ، ولا يمكنُ التسليم له بكلّ هذه الأمثلة فـ (رفيق) يمكن أن يكونَ بمعنى فاعل،ومن

---

(١) معاني الأبنية: ٦١ .

(٢) ينظر : م . ن : ٦١ .

(٣) ينظر : م . ن : ٦٣ .

(٤) صحيح مسلم : ١٦٣/١ ، حديث (١٨٢) .

(٥) الديباج : ١ / ٢٣٢ .

(٦) ينظر: في دراسات في علم الصرف ٥١.

أمثلة فعيل بمعنى مفاعل ما ذكره السيوطيّ عند شرحه قوله ﷺ : ((يا معشرَ النساءِ تصدقنَ وأكثرنَ الاستغفارَ فإني رأيتكنَّ أكثرَ أهلِ النارِ ، فقالت امرأةٌ منهن جزلة : وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال : تكثرن اللعنَ وتكفرن العشيرَ)) [١] ، فقال:"العشير الزوج بمعنى معاشر[٢]، إنّ المقصود بالعشير ههنا كما جاء في الشروح التي فسّرت الحديث هو الزوج ، فقد جاء عند القاضي عياض : " وقوله في الحديث يكفرن العشير فسّره في الحديث الزوج ، وكلّ معاشر عشير" [٣]، وهو معدول عن اسم الفاعل لضرب من المبالغة ، من المعاشرة والعشرة وهي المخالطة ، والعَشير : هو المعاشرُ والمخالط مطلقًا [٤] .

فعلية بمعنى فاعلة أو مفعولة:

جاء عند ابن سيده **(ت ٤٥٨هـ)** في كلامه على فعيل ولحاق تاء التأنيث وأثر هذه التاء في صيغة (فعيل). "اعلم أنّهم يدخلون في فعيل الذي بمعنى مفعول الهاء على غير القصد إلى وقوع الفعل به ووقوعه فيه ، ومذهبهم في ذلك الإخبار عن الشيء المتخذ لذلك الفعل ، والذي يصلح له كقولهم: ضحيّة للذكر والأنثى ، ويجوز أن يقال ذلك من قبل أن يضحّى به ، وذبيحة فلان لما قد اتخذ للذبح" [٥] ، ويفهم من هذا الكلام أن فعلية لا يشترط فيها أن يكون الفعل قد وقع عليها ، إنما هي مهيأة لأن يقع عليها ومعدّة لذلك ، وتاء التأنيث تنقل الكلمة من الوصفية إلى الاسمية ، ومن ذلك كلمة (عريّة) ، اختلف العلماء فيها ، أهي فعيلة بمعنى مفعولة أم فعيلة بمعنى فاعلة ؟ ، فقد قال أبو عبيد : " العريِّة هي النخلة يعريها صاحبها رجلاً محتاجاً ، والإعراء أن يجعل له ثمرة عامها ، يقول: فرخصَّ لربّ النخل أن يبتاع من المعرّى ثمر تلك النخل بتمر لموضع حاجته" [٦]، ومنهم من قال : "إنه لما نهى عن المزابنة [١] ، وهو بيعُ الثمر في رؤوس النخل بالتمر

---

(١) صحيح مسلم : ١ / ٨٦ ، حديث (٧٩) .

(٢) الديباج : ١ / ٩٥ .

(٣) مشارق الأنوار : ١٠٢/٢ .

(٤) ينظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبيّ القرطبيّ (ت٦٥٦هـ) ، حقّقه وعلّق عليه وقدّم له : محيي الدين ديب مستو ، ويوسف علي بديوي ، وأحمد محمد السيّد ، ومحمودإبراهيم بزال، ط٢،دارابن كثير، دمشق ، بيروت ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م : ١ / ١٩٣ .

(٥) المخصص – ابن سيده ، تحقيق: لجنة التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، د.ت :١٦/ ١٥٥.

(٦) غريب الحديث- أبو عبيد القاسم بن سلام الهرويّ (ت٢٢٤ هـ)، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م :١/ ٢٣١ .

رخّص في جملة النخل في العرايا وهو أن من لا نخلَ له من ذوي الحاجة يدرك الرطب ولا نقدَ بيده يشتري به الرطب لعياله ولا نخلَ له يطعمهم منه ، ويكون قد فضل له من قوته تَمر ، فيجيء إلى صاحب النخل ويقول له بعني ثمر نخلة أو نخلتين بخرصها من التّمر فيعطيه ذلك الفاضل من التمر بتمر تلك النخلات ليصيب من رطبها مع الناس" [٢]، أمّا ابنُ حجر فقد فسّرها بأنها عطيةُ ثمر النخل دون الرقبة [٣]، وهي على هذا (فعلية بمعنى مفعولة) ، أي أنّها عريَّة بمعنى (معرية) [٤] ، وقال السيوطيّ : " العريّة بتشديد الياء بوزن مطيّة مشتقة من وهو التجرّد ؛ لأنّها عريت عن حكمِ باقي البستان فهي فعيلة بمعنى فاعلة ، وقيل بمعنى مفعولة من عراه يعروه إذا أتاه وتردّد إليه ؛ لأنّ صاحبها يتردّد إليه ، وقيل سمّيت بذلك لتخلّي صاحبها الأول عنها من بين سائر نخله" [٥] .

فاعَل بمعنى فَعَل:

قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ) :" اعلم أنَّكَ إذا قلت فاعلته فقد كانَ من غيرك إليك مثل ما كانَ منكَ إليهِ ، وذلك ضاربته وفارقته..." [٦] ، ويعني سيبويه بهذا النص أنّ هذا هو المشهور من استعمال (فاعل) ، وإلاّ فانّه قد جاء بمعان أخرى غير المشاركة التي عناها هو بنفسه بقوله هذا [٧] ، وقال ابن قتيبة: "تأتي فاعلت بمعنى فعلت وأفعلت كقولك {قاتلهم الله} ، أي قتلهم ،{وعافاك الله} أي: أعفاك ... وتأتي فاعلت من واحد بغير معنى فعلت وأفعلت ، تقول (سافرت) و (ظاهرت) و(ناولت) و (ضاعفت)" [١] .

---

(١) سيأتي الحديث عن المزابنة في الاشتقاق .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر – ابن الأثير (ت٦٠٦ هـ)، تحقيق :طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء التراث العربي، القاهرة ، (د.ت) :٣ /٢٢٤ .

(٣) ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢ هـ)، حقّقه : عبد العزيز بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ،١٤١٠هـ – ١٩٨٩م : ٤٦٦/٤.

(٤) ينظر : النهاية : ٢٢٤/٣ ، وفتح الباري : ٤٦٦/٤ .

(٥) الديباج : ٤ / ١٥٠ .

(٦) الكتاب – سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠ هـ)، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م : ٢٣٨/٢-٢٣٩ .

(٧) ينظر : الكتاب: ٢٣٩/٢.

ومن أشهر معاني فاعل : (المشاركة) نحو خاصم ونافر ، والمعاملة : وذلك إذا كان الفعل مشتقّاً من أسماء الزمان نحو ياومَ ولايلَ وشاهرَ[٢] .

وقد نصّ السيوطيّ على أنّ (سالم) في قوله ﷺ : ((أسلم سالمها الله)) [٣] بمعنى سلم، فقال: "سالمها الله من المسالمة وهي ترك الحرب قيل هو دعاء ، وقيل: خبر وقيل بمعنى سلمها"[٤] ، قال القاضي عياض : "وقوله: أسلم سالمها الله من مجانسة الكلام ؛ لأنّ من سالمته لم يرمنك ما يكره فإنه دعا لها بأن يصنع الله بها ما يوافقها ، ويكون سالمها بمعنى سلمها وجاء بفاعل كما قال قاتله الله بمعنى قتله " [٥] ، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: L I H M[٦] : "يخادعون في معنى يخدعون ومعناها يظهرون غير ما في أنفسهم ، ولا يكاد يجيء {يفاعل} إلاّ من اثنين ، إلاّ في حروف هذا أحدها قوله قاتلهم الله معناها قتلهم الله"[٧] .

فِعل بمعنى مفعول:

وردَ عن العربِ صيغٌ تعطي المعنى الذي يعطيه اسمُ المفعول ، غير أنّ هذه الصيغَ سماعيةٌ لا يمكن القياس عليها ؛ لقلّة وردوها ، فقد أثر عن العرب أنّهم قالوا : فِعل وفَعَل وهم يعنون مفعولاً [٨] ، ونجد شيئاً من هذا عند ابن قتيبة ، فقد أفردَ في أدب الكاتب باباً سمّاه (باب الحرفين اللذينِ يتقاربانِ في اللفظِ وفي المعنى) ، وذكر فيه الذبح والرِعي والطحن

---

(١) أدب الكاتب - عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، مطبعة السعادة – مصر، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م : ٣٥٧.

(٢) ينظر : المهذّب في علم التصريف د. هاشم طه شلاش، و د. عبد الجليل العاني، و د. صلاح مهدي الفرطوسي ، مطبوعات بيت الحكمة – بغداد، (د. ت) : ٩٤ .

(٣) صحيح مسلم : ١ / ٤٧٠ ، حديث (٦٧٩) .

(٤) الديباج : ٥ / ٤٧٣ .

(٥) مشارق الأنوار: ٢١٨/٢ .

(٦) البقرة /٩ .

(٧) مجاز القرآن - أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠ هـ) ، عارضه بأصوله وعلّق عليه : د. محمد فؤاد سزكين، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٤م : ٣١/١ ، وينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٣٤١.

(٨) ينظر: المصباح المنير - أحمد بن محمد الفيومي (ت٧٧٠هـ) ، ط٨ ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٩٣٩هـ : ٦١٨/٢، وعمدة الصرف - د. كمال إبراهيم ، ط٢ ، مطبعة الزهراء ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م : ٨٥ ، ودراسات في علم الصرف : ٦ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٨١ ، والمهذّب في علم التصريف : ٢٧١-٢٧٣ .

والقِسم وغيرها [١] وقد قسّم د. فاضل صيغة (فِعْل) بمعنى مفعول على نوعين: أحدهما اسم ومثاله الطحن أي المطحون ، ورعي أي: مرعي ، وطرح أي: مطروح ، والآخر: صفة ، ومثاله بِدْع أي مبتدع [٢] ، ومن هذه الصيغ التي نصّ السيوطي عليها:

فِعْل بمعنى مفعول :

فممّا ذكره من هذا البناء (حِبّ) ، ففي الحديث قال عليّ ﷺ : ((نهاني حِبّي ﷺ أن أقرأ راكعاً أو ساجداً)) [٣] ، قال السيوطيّ:" حِبّي هو بكسر الحاء والباء ، أي محبوبي" [٤] .

فَعْل بمعنى مفعول:

جاء في الحديث أنّ رسول ﷺ قال : ((يقول الله ﷻ يا آدم ، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك ، قال يقول: أخرج بَعْثَ النارِ)) [٥] ، قال السيوطيُّ في شرحه: "بعث النار: النار:

المبعوث الموجه إليها " [٦] ، وهذا من باب تسمية المفعول باسم المصدر [٧] .

فعيل بمعنى مُفْعِل:

إنّ فعيلاً يكون مصدراً وبمعنى فاعل ومفعول وصفة مشبهة وبمعنى مُفعَل ومُفْعِل ، بفتح العين وكسرها ، ويكون بمعنى مفاعل بضم الميم وكسر العين ، قال أبو عبيدة في معنى (الأليم) في قوله تعالىM **Ð Ï Î Í Ì Ë Ê É È Ç Æ Å Ä Ã** L **Ó Ò Ñ** [٨] : " مجازه : المؤلم ، وهو الموجع ، والعرب تضع فعيلاً في موضع مُفعِل" [٩] .

---

(١) ينظر : أدب الكاتب: ٢٤٠-٢٤١ .

(٢) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ٦٦ .

(٣) صحيح مسلم :١ / ٣٤٨ ، حديث (٤٨٠) .

(٤) الديباج : ٢ / ١٧٥ ، وينظر: مشارق الأنوار: ١٧٥/١.

(٥) صحيح مسلم ٢٠١/١ ، حديث (٢٢٢) .

(٦) الديباج : ١ / ٢٨٣ ، وينظر: مشارق الأنوار: ٩٦/١ .

(٧) النهاية :١٣٨/١ .

(٨) يونس /٩٧ .

(٩) مجاز القرآن : ٢٨١/١-٢٨٢ ، وينظر: الأضداد – أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة الكويت، ١٩٦٥م : ٨٤ ، والغريبين غريب القرآن وغريب الحديث - أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت٤٠١ هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م : ٧٢/١ .

وممّا جاء على (فعيل) والمراد به (مُفعِل): جميل في قوله ﷺ : ((إنّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ)) [١] ، قال السيوطيُّ :" **إنّ الله** جميل قيل: معناه إنّ كل أمره سبحانه حسن جميل فله فله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال ، وقيل : هو بمعنى مجمل ككريم وسميع ، وقيل معناه جليل ، وقيل : جميل الأفعال بعباده يكلف اليسير ويعين عليه ويثبت عليه ويشكر عليه، وقيل : معناه ذو النور والبهجة أي مالكها" [٢] ، وذهب القاضي عياض إلى أنّ معناه :"ذو النور والبهجة ، أي خالقهما وربّهما ، والتجمّل التزيّن ، وإظهار الزين" [٣] .

الفعل المجرّد والفعل المزيد

المجرّد : هو الفعل الذي خلا من أحرف الزيادة ، أي أنّه مؤلف من حروف أصول ليس فيها حرف زائد ، وإذا سقط حرفٌ لعلةٍ ما ، فلا يعدّ زائداً [٤].

والمجرّد قسمان: ثلاثيٌّ وهو الكثير ، ورباعيٌّ وهو قليل ، وقد اختلفَ العلماءُ في تقسيم أبواب الفعل الثلاثيّ ، فمن العلماء مَنْ نظرَ إلى عينِ الفعلِ في الماضي ، ومنهم من نظر إلى عينِ الفعلِ في الماضي والمضارع ، فمن نظرَ إلى عين الفعل في الماضي جعلها ثلاثةَ أبواب [٥] هي: فَعَل يَفعُل ، فَعِل يَفعَل ، فعُلَ يَفعُل ، وذلك لأنّ الفاءَ لا تكونُ إلاّ مفتوحةً لرفضهم الابتداء بالساكن ولكون الفتحة أخفّ أو كون اللام مفتوحة للخفّة ، والعين لا تكون إلاّ متحرّكةً؛ لئلا يلزم التقاء الساكنين في مثل جعلت، والحركات محصورة في الضمّ والفتح والكسر [٦].

أمَا مَنْ نظرَ إلى عين الفعل في الماضي والمضارع فهي عنده ستة أبواب ، هي:

فتح ضمّ فتح كسر فتحتان　　كسر فتح ضمّ ضمّ كسرتان

---

(١) صحيح مسلم :٩٣/١ ، حديث (٩١) .

(٢) الديباج : ١ / ١٠٧ ، و ينظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج- الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي(ت ٦٧٦هـ) ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،١٣٩٢ هـ : ٢ / ٩٠ .

(٣) مشارق الأنوار : ١ /١٥٢ .

(٤) ينظر : شرح ألفية ابن مالك - عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الحميد، ط١٤ ، دار إحياء التراث العربي ، (د.ت): ٢ /٥٣٠ .

(٥) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب - رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق محمد نور حسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م : ١ / ٦٧ .

(٦) ينظر : شرح التصريح على التوضيح - خالد بن عبد الله الأزهريّ ، ط١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الحلبي، مصر ، ١٩٥٤م : ٢ / ٣٥٧ .

ثُمّ إنّ هذه الأوزان الستة تعرف بتوافق حركة العين واختلافها في الماضي والمضارع[١] ، وقد سمّاها الصرفيّونَ أبوابَ الثلاثي المجرّد وهي (فَعَل يَفعُل ، فَعَل يَفعِل ، فَعَل يَفعَل ، فَعِل يَفعَل ، فَعُل يَفعُل ، فَعِل يَفعِل) ، فهذه وجوه ستة قد جاءت مستعملة بكثرة في مضارع الفعل الثلاثيّ ، وبعض هذه الأوجه أكثرُ استعمالاً من بعض [٢].

الزيـــادة :

الزيادة : ما زيد على أحرف الكلمة الأصليّة حرف أو أكثر لغرض من الأغراض [٣] ،فما من شكّ أنّ هذه الزيادة قد أتت لتفيدَ معنى يُضاف إلى المعنى الأصليّ ، أو لضرب من التوسّع [٤] .

الفعل المزيد :

خدج وأخدج:

جاء في الحديث الشريف أنّ رسول الله ﷺ قال : ((من صلّى صلاةً لم يقرأْ فيها بأمّ القرآنِ فهي خِداج ثلاث غير تمام)) [٥]، نقلَ السيوطيّ عن أهل اللغة أن الخداج - بكسر الخاء المعجمة : هو النقصان ، ويقال : خدجت الناقة إذا القت ولدها قبل أوان النتاج ، وإن كان تام الخلق ، وأخدجته : إذا ولدته ناقصاً وإنْ كانَ لتمامِ الولادةِ [٦].

همّ وأهمّ:

وعرضَ كذلك للفعلِ همَّ وأهمَّ ، وما أحدثته الهمزةُ من تغييرٍ في المعنى ، وذلك عندما شرحَ قولَهُ ﷺ : ((لا تقومُ الساعةُ حتى يكثرَ فيكم المالُ فيفيض حتى يهمّ ربّ المال من يقبل منه صدقة)) [٧] ، فأوضحَ أنّ الرواةَ ضبطوه بوجهينِ: أحدهما وهو الأجود الأشهر أنّه بضمّ الياء وكسر الهاء ، فيكون (ربّ المال) منصوباً على أنّه مفعولٌ به ، والفاعل (مَنْ) ، والتقدير يحزنه ويهتمّ له ، والآخر (يهمّ) بفتح الياء وضمّ الهاء ، ويكون (ربّ المال) مرفوعاً على أنّه

---

(١) ينظر : أوزان الفعل ومعانيها - هاشم طه شلاش ، مطبعة الآداب – النجف ،١٩٧١م : ٢١ .

(٢) ينظر : شرح ابن عقيل : ٦٠٣/٢ .

(٣) ينظر : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٣٩١ .

(٤) ينظر : شرح المفصّل - علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ) ،عالم الكتب، بيروت ، د. ت: ١٥٤/٧ ، وشرح وشرح الشافية: ٨٣/١ ، وأوزان الفعل ومعانيها : ٥١ .

(٥) صحيح مسلم :٢٩٦/١ ، حديث (٣٩٥) .

(٦) الديباج : ٢ / ١٢٧ ، وينظر: العين (خدج): ١٥٧/٤-١٥٨ ، وغريب الحديث -أبو عبيد: ٦٥/١-٦٦ ، ، وفعلت وأفعلت - أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت٢٤٨ هـ)، تحقيق د. خليل إبراهيم العطية، مديرية دار الكتب ، جامعة البصرة ، ١٩٧٩ م : ١٠٩ .

(٧) صحيح مسلم : ٧٠٠/٢ ، حديث (١٠١٢) .

فاعلٌ ، والتقدير : يهمّ ربّ المال من يقبل صدقته ، أي يقصده ،قال أهل اللغة: أهمّه إذا أحزنه، وهمّه إذا أذابه ، ومنه قولهم: همّك ما أهمّك [١].

فعل وأفعل – بناء غريب:

من قوانين العربية أنّه إذا كان الفعلُ لازماً فإنّ (أفعلَ)الذي يؤخذ منه يكونُ متعدياً ، فيقال مثلاً: ذهب زيدٌ زنة فَعَل ، فإذا أريد المتعدي منه قيل : أذهبته ، وقد جاء في العربية خلاف هذا ، فجاء (أفعلَ) لازماً ، و(فعلَ) متعدياً ، فقالت العربُ: أقشعَ الغيمُ وقشعته ، وأنسل ريش الطائر ونسلته وغيرهما من الأفعال [٢] ، وقد أتى السيوطيّ على هذا الأمرِ، ووصفَهُ بالغرابة؛ لأنّه خالفَ أبنيةَ العربيةِ، وذلك حين عرض للحديث: عن سعد بن أبي وقّاص ﷺ قال: ((قسّمَ رسولُ الله ﷺ قسماً ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ أعطِ فلاناً فإنّه مؤمنٌ ، فقال النبي ﷺ أو مسلم ؟ أقولها ثلاثاً ويردّدها عليَّ ثلاثاً أوَ مسلم، ثمّ قال إنّي لأعطي الرجلَ ، وغيره أحبُّ إليّ منه ؛ مخافةَ أن يكبّه اللهُ في النارِ)) [٣] ، فقال: "(قوله يكبّه اللهُ في النارِ) يكبّه بفتح الياء، يقال : أكبّ الرجل وكبّه الله ، وهذا بناء غريب ، فإنّ العادةَ أن يكونَ الفعلُ اللازمُ بغيرِ همزةٍ فيعدّى بالهمزة ، وهنا عكسه" [٤].

ومما أورده كذلك ما جاء من بابين من أبواب الفعل (لغا يلغو لَغي يلغى) ، وذلك في حديثه عن قوله ﷺ :((إذا قلتَ لصاحبِكَ أنصتْ يومَ الجمعةِ والإمامُ يخطبُ فقدْ لغوتَ)) [٥] ، أشار السيوطي إلى أنَّ الرّوايةَ الأخرى جاءت بـ (لغيت) ،وقال :" وهي لغة أبي هريرة ﷺ، وإلاّ فإنما اللغة هي من لغوت" ، ونقل عن أهل اللغة أنّه يقال: لغا يلغو كغزا يغزو ، ويقال: لغى يلغى كعمى يعمى ، وهما لغتان [٦] ، لكن الأولى أفصح من الثانية ،وظاهر القرآن يقتضي هذه الثانية التي هي لغة أبي هريرة ، قالَ اللهُ تعالى : M وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ L [٧]، وهو من لَغِي يلغَى ؛ لأنَهُ لو كان من لغا يلغو لقال والغُوا بضم الغين ، ونُقل عن ابن السكّيت : أنَ مصدرَ لغا يلغو هو اللغو ، ومصدر لغي يلغى هو اللغا وهي أيضاً واويّة ، انقلبت الواو ياء ؛ لتطرّفها وانكسارِ ما قبلها [١].

---

(١) الديباج : ٣ / ٨٤ ، وينظر : العين (همّ) : ٣٥٧/٣ .

(٢) ينظر : أدب الكاتب :٣٥٣-٣٥٤ ، وليس في كلام العرب : ١١٨-١١٩ .

(٣) صحيح مسلم ١٣٢/١ ، حديث (١٥٠) .

(٤) الديباج : ١ / ١٧١ ، و المنهاج : ١٨٠/٢.

(٥) صحيح مسلم : ٥٨٣/٢ ، حديث (٨٥١) .

(٦) الديباج : ٢ / ٤٣٥ .

(٧) فصّلت / ٢٦ .

حروف الزيادة :

جعل علماء الصرف حروف الأسماء والأفعال ضربين ، أصلياً وزائداً ، ولهم في ذلك سبيلٌ يعرفونَ به أصالةَ هذا الحرفِ وزيادته ، فقد جاء في التكملة أنّ "حروف الأسماء والأفعال على ضربين: أصل وزيادة ، فالذي يعرف به الزيادة من الأصل هو أن تشتق من الكلمة ما يسقطُ فيه بعض حروفها ، فما سقط في الاشتقاق كان زائداً ، وما لزمها فلم يسقط منها كان أصلاً" [٢]، وهذا على سبيل الإجمال ، وأمّا عند التفصيل فإنّ الطرائق التي بها ينماز الأصليّ من الزائد تسع وهي: الاشتقاق الأصغر ، والتصريف ، والكثرة ، ولزوم الحرف للزيادة ، ولزوم حرف الزيادة للبناء ، وكون الزيادة لمعنى ، والنظير ، والخروج عنه ، والدخول في أوسع البابين عند لزوم الخروج عن النظير [٣]، وقد وجد البحث في أثناء ما شرح السيوطيّ أحرفاً نصّ على أنها مزيدة في الكلمة وليست بأصل فيها ، ومثال ذلك الميم: ذكر أبو علي الفارسيّ أنّ الميم تزاد في المصادر نحو ضربته مضرَباً ، وفي أسماء المكان نحو هذا مضرِبنا ، وفي أسماء الزمان نحو أتت الناقة على منتجها،وكذلك في أوّل مفعول ومُفْعِل ، ومُفْعَل ومِفْعال ومِفْعَل، والميم لا تزاد وسطاً إلا بِثَبْت [٤].

قال السيوطيّ حين عرض لقوله ﷺ : ((إنّ طولَ صلاةِ الرجلِ وقصرَ خطبته مئنّةٌ من فقهه)) [٥]: "مئنة بفتح الميم ثم همزة مكسورة ثم نون مشددة أي علامة ، وميمها زائدة فوزنها مفعلة" [٦]، واختلفَ العلماءُ في زيادة الميم وأصالتها ، فمن قائل : إنّها مشتقةٌ من معنى إنّ التوكيدية ، جعل الميم زائدة فيها ، ووزن الكلمة هو مَفْعَلة [١]، ومن قائل إنّها مشتقة من :

---

(١) ينظر : إصلاح المنطق- يعقوب بن إسحاق ، ابن السكّيت (ت ٢٤٤هـ) ، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، دار المعارف بمصر ،١٩٧٠ م: ٩٤ .

(٢) التكملة - أبو علي الفارسيّ (ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق ودراسة: كاظم بحر المرجان ، مطبعة مديرية الكتب– العراق ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م : ٥٤٢ - ٥٤٣، وينظر: المنصف شرح التصريف - ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة، ١٩٥٤م : ٩٨/١ ، والممتع في التصريف - ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط٥ ، الدار العربية للكتاب ،١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م : ٢٠١/١.

(٣) ينظر : المقرّب - ابن عصفور ، تحقيق : أحمد عبد الستار الجواريّ ، وعبد الله الجبوريّ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٦م :٥٠٠ ، والبحث النحويّ واللغويّ عند الإمام النوويّ : ١١١ .

(٤) ينظر : التكملة : ٥٢٢ – ٥٥٥ ، والمقتضب - محمد يزيد المبرّد (ت٢٨٥ هـ)، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ،(د. ت) : ٥٨/١ - ٥٩ ، وشرح المفصل : ١٥١/٩.

(٥) صحيح مسلم ٥٩٤/٢ ، حديث (٨٦٩) .

(٦) الديباج : ٢ / ٤٤٨ .

مأنت أي شعرت جعل الميم أصلية ، والوزن فَعْلة [٢]، والراجح أنّها مأخوذةٌ من معنى إنّ التوكيدية ؛ لأنّ (إنّ) دالّة على التوكيد ، وهو المقصود بالحديث.

اختلاف الحركات :

قد يؤدي اختلاف الحركة إلى اختلاف المعنى ، وممّا ذكره السيوطيّ :

المِطهرة (بفتح الميم وكسرها) :

علّق السيوطيّ على حديث أبي هريرة ﷺ : ((أنّهُ رأى قوماً يتوضؤونَ من المطهرة فقال أسبغوا الوضوء)) [٣]، فقال : "المطهرة بكسر الميم وفتحها : كلّ إناء يتطهر به" [٤] ، وهما لغتان مشهورتان حكاهما ابن السكّيت ، فمن كسرَ جعلها آلة ، ومن فتحها جعلها موضعَ الطهور [٥].

(نفست) بفتح النون وضمها:

ثمة فرّق بين (نفست) بفتح النون وكسر الفاء ، و(نُفِست) بضم النون مع كسر الفاء ، أورده السيوطيّ في معرض كلامه على حديث أمّ المؤمنين أمّ سلمة رضي الله عنها حين قالت: ((بينما أنا مضطجعةٌ معَ رسول الله ﷺ في الخميلةِ إذ حضتُ فانسللتُ فأخذتُ ثيابَ حيضتي فقال لي رسول الله ﷺ أنَفِست ؟ قلت : نعم)) [٦] ، ذهبَ السيوطيّ إلى أنّ (أنفستِ) معناه: أحضتِ وهو بفتح النون وضمها والفتح أفصح والفاء مكسورة فيها ، وأما النفاس الذي هو الولادة فيقال فيه نُفست بالضم لا غير [٧] ، أي أنّ نَفِست بفتح فكسر – يعني حاضت، أمّا نُفِست بضم النون فيستعمل في الولادة، وأمّا في غير المشهور فيجوز أن يقال نفست بفتح الفاء في غير الولادة .

الكِبر :

---

(١) ينظر : مشارق الأنوار: ٤٥/١ ، ٣٧٠، والفائق في غريب الحديث - محمود بن عمر الزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار المعرفة – لبنان (د.ت) : ١ / ٦٣ ، والنهاية : ٢٩٠/٤.

(٢) ينظر : مشارق الأنوار: ٤٥/١ ، ٣٧٠ ، والمفهم : ٣ / ٣٧٥ .

(٣) صحيح مسلم : ٢١٤/١ ، حديث (٢٤٢) .

(٤) الديباج : ٢ / ٢٤٣ .

(٥) ينظر: إصلاح المنطق ٢١٨.

(٦) صحيح مسلم : ٢٤٣/١ ، حديث (٢٩٦) .

(٧) الديباج : ٢ / ٦٦ ، وينظر مشارق الأنوار : ٢١/٢.

وكذلك تحدّث السيوطي عن الكِبر بفتح الباء وسكونها مع كسر الكاف ، وذلك حين تناول قوله ﷺ :((اللهم إني أعوذُ بِكَ من الكسلِ وسوءِ الكبرِ)) [١] ، فقال: "وسوء الكبر ضُبِطَ بسكون الباء أي التعظّم على الناس ، وبفتحها أي الهرم " [٢].

الهُدى والهَدْي :

وفي حديث جابر ﷺ: ((كان رسول الله ﷺ إذا خطبَ احمرّت عيناه وعلا صوته واشتدّ غضبُه حتّى كأنّه منذرُ جيشٍ يقول صبّحكم ومسّاكم ، ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبّابة والوسطى ، ويقول : أمّا بعد فإنّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ ، وخيرَ الهدي هَدْيُ محمّدٍ ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلّ بدعة ضلالة)) [٣] ، قالَ السيوطيّ ": خير الهدى هدى محمد ضبط بضم الهاء وفتح الدال فيهما ، وبفتح الهاء وإسكان الدال ، ومعنى الهدى بالضم : الدلالة والإرشاد ، ومعنى الهَدي بالفتح : الطريق ، أي أحسن الطريق طريق محمد ، يقال : فلانٌ حسن الهدي ، أي الطريقة والمذهب" [٤] .

التشديد والتخفيف

يعدُّ التشديد والتخفيف ظاهرة صوتية عرفتها العربية وتناولها العلماء بالدرس والتحليل ، ولهذه الظاهرة صلة بلسان العرب ، فالتشديد يتمّ بالشدة التي تناسب طبيعة أهل البداوة ؛ لأنّهم يميلون إلى الأصوات الشديدة ، وهذا ما عليه البدويّ من غلظ وجفاء [٥] ، فهو لذلك يحرص على إيضاح الصوت لكي يسمع وهو في تلك الصحارى المترامية ، فكان أن لجأ إلى عدّة طرائق منها: التشديد والجهر والتفخيم والتثقيل الذي يدخل الحرف سمناً يمتلئ الفم بصداه [٦].

أما التخفيف فهو من السمات التي امتازت بها لهجة أهل الحضر التي تميل إلى خفّة النطق ويسر الأداء ، وهذا آت من طبيعة بيئتهم [٧]، ولكلّ من التشديد والتخفيف مزية ، وهذا من زيادة المبنى ، فزيادته زيادةٌ في المعنى ، وفي ذلك يقول سيبويه: "تقول كسرتها وقطعتها، فإذا أردت كثرة العمل كَسَّرته وقَطَّعته ومَزَّقته ، ومما يدلّك على ذلك قولهم : علطت البعير ، وإبل معلَّطة ، وبعير معلوّط ، وجرحته وجرحتهم وجرّحته أكثرت الجراحات في جسده ...

---

(١) صحيح مسلم ٢٠٨٨/٤ ، حديث (٢٧٢٣) .

(٢) الديباج : ٦ / ٧٢.

(٣) صحيح مسلم : ٢ / ٥٩٢ ، حديث (٨٦٧) .

(٤) الديباج : ٢ / ٤٤٥ .

(٥) ينظر : في اللهجات العربية - د. إبراهيم أنيس ، ط٤ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٣م : ١٠٠ .

(٦) ينظر : اللهجات العربية في التراث - د. أحمد علم الدين الجندي ، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، (د. ت) : ٥٢٨.

(٧) ينظر : في اللهجات العربية : ١٠٠ .

واعلم أنّ التخفيفَ في هذا كلّه جائزٌ عربيٌّ" [١]، والتخفيف من خصائص لهجة الحجازيين ، والتشديد من خصائص لهجة تميم وسفلة قيس [٢]، وممّا ينبغي التنبيه عليه أنّ أهل البدو لم يكونوا يلتزمون التشديد كلّ الالتزام ، بل ربما خفّفوا في مواضع التشديد ، وكذلك الأمر مع أهل الحضر أي أنّهم قد يشدّدون فيما اعتادوا أن يخفّفوه [٣].

أدلج وأدَّلج :

جاء في الحديث عن عمران بن حصين ﷺ قال : ((كنتُ مع نبيّ الله ﷺ في مسيرٍ لَهُ فأدْلجنا ليلتنا)) [٤]، قال السيوطيّ في شرحه :" فأدلجنا ليلتنا هو بإسكان الدال وهو سير الليل كله ، وأما ادلجنا بفتح الدال المشدّدة فمعناه سرنا آخر الليل هذا هو الأشهر في اللغة ، وقيل: لغتان بمعنى ومصدر الأول إدلاج بالإسكان ، والثاني إدلاج بكسر الدال المشددة" [٥].

وليس في هذا النصّ إشارة إلى حركة اللام في الدلجة ، وقد نبّه على حركتها القاضي عياض حين أشار إلى أنّ اللام قد تقال بالفتح ، وذكر أنّ من اللغويينَ مَنْ ساوى بين(الدَلجة والدُلجة) ، وكذلك (أدلج وادّلج) أي أنّهما لغتان [٦].

تضارّون وتضامّون :

جاء في الحديث :((أن ناساً قالوا لرسولِ اللهِ ﷺ يارسولَ اللهِ هل نرى ربّنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارّون في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله)) [٧]، قال السيوطيّ : "هل تضارّون بضم التاء ، وفي الراء التشديد والتخفيف ، ومعنى المشدّد: هل تضارّون غيركم في حالِ الرؤيةِ بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخَفائه ، كما تفعلون أول ليلة من الشهر ، ومعنى المخفّف: هل يلحقُكم في رؤيته ضير وهو الضرر ، فإنّكم ترونه كذلك معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشكّ والمشقة والاختلاف " [٨] .

---

(١) الكتاب : ٢٣٧/٢.

(٢) ينظر : لسان العرب (هدى) - جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، ط٦، دار صادر، بيروت : ١٥ / ٣٥٩ .

(٣) ينظر : المزهر : ٢٣٥/٢.

(٤) صحيح مسلم : ٤٧٤/١ ، حديث (٦٨٢) .

(٥) الديباج : ٢ / ٣٢٠.

(٦) ينظر : مشارق الأنوار : ٢٥٧/١ ، والمفهم : ٨ / ٢٠٣ .

(٧) صحيح مسلم ١٦٤/١ ، حديث (١٨٣) .

(٨) الديباج:١ / ٢٣٢ ، وينظر: إصلاح غلط المحدّثين - حمد بن محمد الخطابيّ (ت ٣٨٨هـ) ، تحقيق وتعليق : مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن الطاهرة (د. ت) : ٨٢.

أمّا روايةُ الميم ففيها روايتان كذلك ، التشديد والتخفيف ، فمن شدّد الميم فتح التاء ، ومن خفّف الميم ضمّ التاء ، ومعنى المشدّد هل تتضامون وتتلطّفون في التوصل إلى رؤيته ، وهو يعني بالتضام التداخل ، أما رواية التخفيف والضم فمعناها هل يلحقكم ضيم وهو المشقة والتعب [١].

القلب المكانيّ

معنى القلب المكاني : تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض[٢] مثل يئس وأيس ويكون هذا في المفردات والجُمل[٣] ، وذكر ابنُ فارس أنّه من سَنن العرب، وأنّه لا يوجدُ من القسمِ الأخيرِ (الجمل) شيء في القرآن الكريم [٤]، وذكر السيوطيّ أنّ قوماً من النحويين يزعمون أنّ أنّ ما يظنّ أنّه من القلب إنّما هو من اللغات [٥]، وهو ما عليه بعض المحدثين [٦]، أمّا سببُ حدوثه فمنهم من يرى أنّه الميلُ إلى التخفيفِ اللفظيّ [٧]، وفي النفسِ من هذا التعليلِ شيء ، ذلك أنّه يجبُ الحكم على كلّ الألفاظ التي رويت مقلوبة بالثقل ، فإذا أخذنا لفظ (جذب ، جبذ) مثلاً ، وحكمنا على (جبذ) بالخفّة فهذا يعني أنَّ (جذب) أثقلُ منه ، وهنا علينا أن نعرف لِمَ كانَ (جذب) أثقلَ من (جبذ) ؟ أمن جهة النسيج الصوتيّ للكلمة أم من جهة الميزان الصرفيّ ؟ إنّ الإجابةَ عن هذا السؤال تحتاجُ إلى جمع ما ورد مقلوباً عن العرب ثم دراسته من حيث النسيج الصوتيّ وما يحدّده هذا النسيج من قوّةٍ وضعفٍ ، فقد ذكروا أنّ أحسنَ النُسُج الصوتية ما كانت البداية فيها من المخرج الأعلى إلى الأوسطِ إلى الأدنى نحو (ع د ب) ، وأنّ أقلّ المخارج استعمالاً هو ما كانت البداية فيها من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسطِ نحو (ب ع د) ، وحينئذٍ يمكننا أنْ نقولَ إنّ (جذب) أكثرُ موافقةً للنسيج الصوتيّ العربيّ من (جبذ) ؛ لأنّ(ج ذ

---

(١) ينظر: الفائق : ٣٣٥/٢ ، ومشارق الأنوار: ٥٩/٢ ، والمفهم: ٣٣٥/١.

(٢) ينظر : الخصائص أبو الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢هـ). تحقيق: محمد علي النجّار ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ،١٩٩٠م: ٧١/٢ ، واللهجات العربية في التراث : ٥١٩.

(٣) ينظر : المزهر : ٣٦٧/١.

(٤) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - أبو الحسن أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) وضع حواشيه: أحمد حسن ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م : ٣١٥ وفقه اللغة وسرّ العربية : ٣٨٤ .

(٥) ينظر : المزهر : ٣٦٩/١.

(٦) ينظر : الدراسات اللهجيّة والصوتيّة عند ابن جني - د. حسام سعيد النعيميّ ، دار الرشيد للنشر ، بغداد، بغداد، ١٩٨٠م: ١٩٠.

(٧) ينظر : اللهجات العربيّة في التراث : ٥٢٥ ، والدراسات اللغويّة عند العرب - د. محمد حسين آل ياسين ، ط١ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،١٩٨٠م : ٤٠٦.

ب) بدأت من الأعلى إلى الأوسطِ إلى الأدنى ، أمّا (ج ب ذ) فقد بدأت من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط [١].

ومن الأسباب التي تدعو إلى القلب ما يراه بعضهم من أنّه "عمليّة نفسيّة فرديّة تنتج عن نوع من الخطأ السيكولوجيّ الذي قد يكون سببه عضوياً أو نفسياً ، والعوامل العضويّة التي تؤثرُ مثل هذا الأثر هي اضطراب الجهاز السمعيّ أو الجهاز النطقيّ، والعوامل النفسيّة قد تكون فرديّة وجماعيّة ... وإذا صحّ أنّ العوامل النفسيّة تسبّب عند الفرد اضطراباً في ترتيبِ الأصوات فإنّها تسبّب لدى الجماعة مثل هذه الظاهرة" [٢]، ولسنا على يقينٍ من هذا التعليلِ ، فلا نعرفُ إلى أيّ مدى يصدقُ مثل هذا القول على المفردات التي جاءت مقلوبةً ؟ ولا نعلم ما مضى عليها من الزمن حتى شاعت هذا الشيوع ، وعرفت هذه المعرفة ، هذا بالاستناد إلى قوله "عملية نفسية فردية" ، وأمر آخر يفهم من هذا التعليل ، هو أنّ هذه الظاهرة حدثت من تقليد الناس بعضهم بعضاً في الكلام ، ثمّ شاعت هذه الظاهرة ، حتى وجدت في القرآن الكريم وهذا ما لا يرضاه بحثنا هذا ، بل يذهب هذا البحث إلى أنّ القلبَ ظاهرةٌ لهجيّةٌ من لهجات العرب ، و"أنّ القبائل التي وقع فيها هذا القلب هي القبائل البدويّة" [٣]، يؤيّدنا في هذا ما سبق أن ذكرناه في النسيج الصوتيّ ، ولا ننسى أن القبائل البدويّة تكون ذات عيش خشن ، وليس لها ما للقبائل الحضريّة من الترف ورقّة العيش ، فتكون ألفاظ أهل البداوة أقلّ تجانساً من ألفاظ أهل الحضر، واللهُ أعلمُ .

وقد ذكر ابنُ عصفور أربعةَ أمور يعرفُ بها القلبُ ، أمّا الأول: فهو أن يكونَ أحدُ النظمينِ أكثرَ استعمالاً من الآخر ، فيكون الأصل ، ويكون الآخرُ مقلوباً عنه ومثاله (رعملي) فإنّه أقلّ استعمالاً من (لعمري) ، والثاني: أن يكونَ أحدُ النظمين يكثرُ تصريفُ الكلمة عنه ، ومثاله (شوائع) فإنّه أصل ، و(شواعٍ) مقلوب عنه ؛ لأنّه يقال (شاع يشيع فهو شائع ، ولا يقال شعى يشعى)، والثالث: أن يكون أحد النظمين مجرّداً من الزوائد فيكون الأصل ، مثاله (اطمأنّ) فإنّه مقلوب من (طأمَن) ، أمّا الرابع فأن يكون لأحد النظمينِ حكم ، هو للآخر في الأصل ، فيدلّ حكمه على أنّه مقلوبٌ من ذلك ، ومثاله (أيس) فهو مقلوبٌ من (يئس) [٤].

ومن أمثلةِ القلبِ المكانيّ التي أشارَ إليها السيوطيّ :

---

(١) الوجيز في فقه اللغة - محمد الأنطاكي ، ط٣ ، مكتبة دار الشرق ، سوريا ،١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م : ٢٢٤-٢٢٦ . وفيها بيان للنُسُج الصوتية وبيان مراتبها من حيث الفصاحة.

(٢) محاضرات في اللغة - د. عبد الرحمن أيّوب ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٦م : ١٧١.

(٣) الدراسات اللهجيّة والصوتيّة عند ابن جني : ١٩٢ ، وينظر :البحث النحويّ واللغويّ عند الإمام النوويّ: النوويّ: ١٢٢ .

(٤) ينظر: المقرّب : ٥٥٧ - ٥٥٨ ، والدراسات اللهجيّة والصوتيّة عند ابن جني : ١٩١.

- نأى ناء

في حديــث الثلاثــة نفــر الذيــن انطبقت عليهــم صخــرةٌ من الجبلِ ، قال أحــدُهم: ((اللهمّ إنه كانَ لي والدانِ شيخانِ كبيرانِ وامرأتي ولي صبيةٌ صغارٌ أرعى عليهم فإذا أرحتُ عليهم حلبتُ فبدأت بوالديّ فسقيتهما قبل بَنيّ ، وانّه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آتِ حتَّى

أمسيتُ))[١]، قال السيوطيّ : "نأى في نسخة ناء بتقديم الألف على الهمزة ، لغتان بمعنى بَعُدَ" [٢]، أمّا قوله: بتقديم الألف على الهمزة فقد جاءت به قراءة ابن عامر في قوله تعالى M وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ L [٣]، فقرأها (ناء) [٤] ، وذهب الآلوسي إلى أنّه من المقلوبِ ، وأنّ الأصلَ هو (نأى) وأنّ (ناء) مقلوبٌ منه بوضع عين الكلمة موضع اللام وذلك يشبه قولهم (راء) في (رأى)[٥] ، والدليلُ على قلبه عند النحّاس إجماعُهم على أن يقولوا نأيت نأياً ، ورأيت رأياً ورؤيةً ورؤيا ، وهذا عند النحّاس مأخوذ من (نأى ورأى) ، وأنّه لو كانَ مأخوذاً من (ناء وراء) لقالوا: رأيتُ ونئتُ كجئتُ [٦]، وقيل : إنّه لا قلبَ فيها ، وإنّ (ناء) بمعنى (نهض) [٧].

آبار بئار:

عن عبدالله بن عمر ﷺ : ((أنّ ناساً نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر أرض ثمود، فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهرقوا ما استقوا)) [٨]، قال السيوطيّ : "آبارها بسكون الباء وبعدها همزة ، ويقال بمدّ أوله وفتح الباء بئارها بكسر الباء وبعدها همزة" [٩] ، وقال المبرّد: "وما كان على فِعْل فإن أدنى العدد فيه أفعال نحو جذع وأجذاع ... وبئر آبار) [١٠] ، القلب الذي حدث هو أنّ زنةَ (فِعل) مهموزة العين تجمع على (أفعال) يكون فيها همزتان : همزة الجمع وهي زائدة ، وهمزة الأصل ، ثم تنقل همزة الأصل

---

(١) صحيح مسلم : ٤ / ٢٠٩٩ ، حديث (٢٧٤٣) .

(٢) الديباج : ٦ / ٩١ .

(٣) فصّلت / ٥١ .

(٤) ينظر :البحر المحيط ــ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت ٧٤٥هـ) ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م : ٦ / ٧٣ .

(٥) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين محمود الآلوسيّ (ت١٠٢٧هـ) ، دار إحياء التراث العربيّ – بيروت ، (د.ت) : ١٤٧/١٥ .

(٦) ينظر : إعراب القرآن - أبو جعفر أحمد بن محمد النحّاس (ت ٣٣٨هـ) تحقيق :د. زهير غازي زاهد، زاهد، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م : ٢٥٦/٢.

(٧) روح المعاني : ١٤٧/١٥ .

(٨) صحيح مسلم : ٢٢٨٦/٤ ، حديث (٢٩٨١) .

(٩) الديباج : ٦ / ٢٨٩.

(١٠) المقتضب : ١٩٦/٢ .

قبل العين ، فتجـــتمع همزتان فتكوّنان مدّة ، فيقال : آبار فيكون وزنها (أعفال) [١].

جلبة ولجبة :

وذكر أيضا جلبة ولَجبَة ، فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ: ((أنّ رســول الله ﷺ ســمعَ جلبــةَ خصم ببابِ حجرته فخرجَ إليهم)) [٢]، قال السيوطيُّ **:** "جلبة بفتح الجــيم والــلام والموحــدة: اختلاط الأصوات...، ولجبة بتقديم اللام على الجيم بمعنى جلبة ، وكأنّه مقلوبٌ منه" [٣] .

الاشتقـــاق

وهو عند علماء اللغة : " أخذُ كلمةٍ من كلمةٍ أو أكثر ، معَ تناسب بينَ المأخوذِ والمأخوذِ منه في اللفظِ والمعنى جميعاً"[٤] ، وعليه فلابُدَّ من صلةٍ بين المشتقّ والمشتقّ منه ، وقد مثّــل ابنُ السرّاج هذا المعنى أجملَ تمثيلٍ فقال : "ونضربُ لذلك مثلاً ما يتخذه الناسُ مــن الــذهب كالخاتمِ والحلقةِ وغير ذلك ، فالصورُ مختلفةٌ والجنسُ واحدٌ"[٥] ، وقد اهتمّ اللغويّــون القــدماء والمحدثون بموضوع الاشتقاق ، فعرّفوه ، وقسموه ، وألّفوا فيه الرسائل والكتب[٦] ، ولكنّهم لم يتفقوا في وضع حدّ لأنواع الاشتقاق ، فذهب بعضهم إلى أنّه إذا اتحد المشتقّ والمشتقّ منه في ترتيب الحروف سُمّيَ الاشتقاق العام ، وإلا فهو الاشتقاق الكبير أو الأكبر[٧] وقــد أطلــقَ ابنُ جني على الاشتقاق العام اسم "الاشتقاق الصغير"[٨] ، وهو ما يعرفُ بالاشتقاق الصرفيّ ، كاشتقاق المصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبّهة وما إليها ، وأمّا الاشــتقاق الثاني فقد ابتدعه ابن جني[٩] وأطلق عليه الاشتقاق الكبير أو الأكبر ، قال السيوطيّ عن هــذا النوع من الاشتقاق : "وأمّا الأكبر فيحفظ فيه المادة دون الهيئة"[١٠] . ولولا الاشتقاق لما اتسعَ الكلامُ ، ولَمَا تسلّط المتكلّم على القوافي والسجع ، فهو يوسّعُ اللغةَ ويزيــدها ثــراء ونمــاء ،

---

(١) ينظر : المهذّب في علم التصريف : ٥١ .

(٢) صحيح مسلم : ٣ / ١٣٣٧، حديث (١٧١٣) .

(٣) الديباج : ٤ / ٣١٧ .

(٤) الاشتقاق - عبد الله أمين ، ط١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشــر ، القــاهرة ، ١٣٧٦هـــ - ١٩٥٦م : ١ .

(٥) الاشتقاق - أبو بكر محمد بن السري السراج (ت ٣١٦هــ) ، تحــقيق : محمد صالح التكريتــي ، ط١ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٩٣هــ- ١٩٧٣م : ٣٢ .

(٦) ذكر السيوطيّ معظم هؤلاء القدماء ، ينظر : المزهر : ٢٧٥/١ .

(٧) من أسرار اللغة - د. إبراهيم أنيس ، ط٥ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥ م : ٦٢ ، و = : فقه اللغة اللغة العربية - د. كاصد ياسر الزيدي ، دار الكتب ، الموصل، ١٤٠٧هــ- ١٩٨٧م : ٢٩٧ .

(٨) الخصائص : ١٣٤/٢ .

(٩) م . ن : ٨٨/٢ .

(١٠) المزهر : ٢٧٤/١ .

فيعبّر عن الجديد من الحياة، والذي يعنينا – هنا – الاشتقاق اللغويّ ، وهو المتعلّقُ بالرجوعِ إلى الأصلِ اللغويّ عندَ النظرِ في الاشتقاق ، وقد عني السيوطيّ بهذا اللون من الاشتقاق عنايةً كبيرةً ، وسنبيّن ذلك من خلالِ عرضنا لبعضِ الألفاظِ التي تناولها وبيّن أصلها اللغويّ ، ومن هذه الألفاظ :

المزابنة والمحاقلة : في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ : ((نهى رسولُ الله ﷺ عن المزابنةِ والمحاقلةِ ، والمزابنةُ: اشتراءُ الثمرِ في رؤوسِ النخل، والمحاقلةُ : كراءُ الأرضِ))[١]، قال السيوطيّ: " المزابنةُ مشتقةٌ من الزبنِ ، وهو المخاصمةُ والمدافعةُ ، والمحاقلةُ مأخوذةٌ من الحقلِ ، وهو الحرثُ وموضعُ الزرعِ " [٢].

المخابرة [٣]:

اختلفت أقوالُ العلماءِ في اشتقاق المخابرة فكانت أربعةَ أقوال، أمّا الفريق الأول فيرى أنّها مأخوذةٌ من الخُبرة وهي النصيبُ ، والخبرة : أن يشتري قومٌ شاة فيقتسموها [٤]، وأمّا رأي الفريق الثاني فيرى أنّها مشتقة من الخبار ، أي الأرض الليّنة الرخوة [٥]، جاء في الصحاح : "الخَبارُ: الأرضُ الرخوة ذات الجحر" [٦] ، في حين ذهبَ ابنُ الأعرابيّ إلى أنّها مأخوذة من معاملة الرسول ﷺ أهل خيبر ، وأنّه ﷺ أقرّها بأيديهم على النصف ، فقيل خابروهم أي عاملوهم في خيبر [٧]، وأمّا الرأيُ الرابعُ وهو الأخيرُ الذي ارتضاه أبو عبيد والأكثرون من أهل اللغة والفقهاء، فهو أنَّ المخابرة مشتقةٌ من الخبير وهو الأكّار[٨] ، وقد

---

(١) صحيح مسلم : ٣ / ١١٧٩ ، حديث (١٥٤٦) .

(٢) الديباج : ٤ / ١٥١ .

(٣) **المخابرة:** هي المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها ويكون البذرُ من العامل ، ينظر: المغني - ابن قدامة المقدسيّ (ت٦٢٠ هـ) ، ط١ ، دار الفكر، بيروت ،١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م : ٥٨٣/٥ .

(٤) ينظر : الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب - ابن السيد ، عبد الله بن محمد البطليوسيّ (ت ٥٤١هـ) تحقيق: الأستاذ مصطفى السقا ، و د. حامد عبد المجيد ، دار الشؤون الثقافيّة العامة – بغداد ١٩٩٥م : ٩٣/١ والمفهم : ٦ / ١٨٢ .

(٥) ينظر : المغني: ٥٨٣/٥ ، وتهذيب الأسماء واللغات - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ٦٧٦هـ) المطبعة المنيرية ، مصر ، (د. ت) : ٨٧/٣ .

(٦) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية - أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفّار عطّار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ٦٤١/٢ .

(٧) غريب الحديث - ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م : ١٩٦/١ ، وينظر : المبسوط - محمد بن أحمد السرخسيّ (ت٤٨٣هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر بمصر، ١٣٢٤هـ : ٢/٢٣ ، والاقتضاب : ٩٣/١-٩٤ .

(٨) غريب الحديث - أبو عبيد : ٢٣٢/١ ، وينظر : المغني : ٥٨٣/٥ .

ذكرالسيوطيّ هذه الآراء جميعها فقال : " المخابرة مشتقةٌ من الخبير وهو الأكّار أي الفلاح ، وقيل من الخبار وهي الأرضُ اللينةُ ، وقيل من الخبرة وهي بضم الخاء وهي النصيب ، وقيل: مأخوذة من خيبر ؛ لأنّ أوّل هذه المعاملة كان فيها " [١] .

المدينة:

وممّا عرض السيوطيّ لاشتقاقه (المدينة) في أثناء شرحه لحديث رسول الله ﷺ:((أمرت بقريةٍ تأكلُ القرى يقولون يثرب ، وهي المدينةُ تنفي الناسَ كما ينفي الكير خبث الحديد)) [٢] قال السيوطيّ مفسّراً لفظ (المدينة) : "والمدينة قيل : مشتقة من دانَ إذا أطاع ، وقيل : من مدنَ بالمكان : إذا أقامَ به" [٣] ، وكثير من أهل اللغة يقول إنّها مشتقة من مدنَ بالمكان ، إذا أقامَ به وجمعها مُدُن بإسكان الدال وضمها ومدائن ومداين بهمز وبلا همز ، والهمز أفصح ، وبهذه اللغة جاء القرآن ،والآخر نسب إلى قطرب وآخرين ومنهم ابنُ فارس ، ورأيهم أنّها مأخوذةٌ من دانَ ، أي: أطاع ، وقيل من دينَ أي ملكَ ، فجمعها مداين بلا همز[٤] ، ونقل الجوهريُّ عن أئمّة اللغة فيها قولين: منهم من يقول هي فعيلة ، ومنهم من يقول هي مَفعِلة ، أي بحسب الاشتقاق [٥].

النصيحةُ :

وفي أثناء شرحه حديثَ رسول الله ﷺ المروي عن تميم الداريّ ﷺ ، أنّ النبي ﷺ قال : ((الدينُ النصيحةُ)) [٦] ذكر [٧] نقلاً عن الخطابي [٨] أنّ النصيحةَ : كلمةٌ جامعةٌ معناها حيازة حيازة الحظّ للمنصوح له ، وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة غير معناها كما أنّه ليس في كلامهم كلمةٌ أجمع لخير الدنيا والآخرة من لفظِ الصلاحِ ، وأخذها من : نصحَ الرجلُ ثوبَهُ : خاطَهُ ، شبّه فعل الناصح فيما يتحرّاه من صلاحِ المنصوحِ له بما يسندُه من خلل الثوب ، وقيل من : نصحتُ العسلَ : إذا صفّيته من الشمعِ ، شبّه به تخليص القول من الغشّ ، ومعنى الحديث : عمادُ الدين وقوامُه النصيحةُ كقوله الحجّ عرفة أي عماده ومعظمه .

---

(١) الديباج : ٤ / ١٥٦ .

(٢) صحيح مسلم : ٢ / ١٠٠٦ ، حديث (١٣٨٢) .

(٣) الديباج : ٣ / ٤١٩ .

(٤) ينظر : المنهاج : ١٦٦/٩ .

(٥) ينظر: الصحاح (مدن) : ٢٢٠١/٦ .

(٦) صحيح مسلم : ١ / ٧٤ ، حديث (٥٥) .

(٧) الديباج : ١ / ٧٦ .

(٨) = : غريب الحديث - أبو سليمان حمد بن محمّد بن الخطابيّ (ت ٣٨٨هـ) ، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، جامعة أمّ القرى ، مكّة المكرّمة ، (١٤٠٢هـ) : ٢٢٨/٢ .

الجمـــوع

الجمعُ هو : "ضمُّ شيءٍ إلى أكثرَ منه ، والغرضُ بالجمع الإيجـــازُ والاختصـــارُ" [١] ، وهو على ضربينِ : الأول : جمع تصحيح ، والثاني : جمع تكسير [٢]، وجمعُ التصحيحِ هو : : "ما سلم فيه واحدُه من التغيير ، وإنّما تأتي بلفظه البتة من غير تغيير ثم تزيد عليـــه زيـــادة تدلّ على الجمع" [٣]، ومنه جمع المذكر السالم الذي يزاد في الرفع بـــالواو والنـــون ، وفـــي النصب والجرّ بالياء والنون ، وجمع المؤنث السالم الذي يزاد في آخره بألف وتاء مضـــمومة رفعاً ، ومكسورة جراً ، ونصباً [٤] ، أمّا جمعُ التكسيرِ فهو : ما دلّ على أكثر من اثنين بتغييرٍ بتغييرٍ ظاهرٍ في بناءِ المفردةِ زيادةً أو نقصاناً ، وهذا الجمعُ يشـــمل العاقـــل وغيـــر العاقـــل والمذكّر والمؤنّث [٥]، ويكون على ضربينِ : جمع قلّة وجمع كثرة ، فجمـــع القلّـــة : مدلولـــه بطريق الحقيقة الثلاثة فما فوقها إلى العشرة ، وجمع الكثرة : مدلوله بطريق الحقيقة ما فـــوق العشرة إلى غيرِ نهايةٍ ، وأمثلة جمع القلة أربعةٌ : (أفْعِلة وأفعُل وفعلة وأفعال) وما سوى هـــذه الأربعة من أبنية التكسير فهو جمع كثرة [٦]، ومن أوزان جموع الكثرة صيغة (فعائل) ، مـــن ذلك :

رغائبُ جمع رغيبة ، وكبائرٌ جمع كبيرة ، وهذا النوع من الجمـــع يســـمّى (صـــيغة منتهـــى الجموع)[٧] وهو كلّ جمع تكسير بعدَ ألفِ تكسيره حرفانِ أو ثلاثةُ أحرف أوســـطها ســـاكن ،

---

(١) شرح المفصّل : ٣٦١/٥ ، وينظر : المقرّب : ٤٠٠ .

(٢) معاني الأبنية : ١٢٩ .

(٣) شرح المفصّل : ٣٦١/٥ ، وينظر : المقرّب : ٤٠٢ .

(٤) ينظر: المقرّب : ٤٠٢ ، وشذا العرف في فن الصرف - أحمد الحملاوي (ت ١٩٣٢هـ) ، دار الكتـــب العلمية ، بيروت ، (د. ت) : ٩٧ .

(٥) ينظر : شرح المفصّل : ٣٦٨/٥-٣٧٤ ، والفيصل في ألوان الجموع:عباس أبو السعود ، دار المعارف ، ، القاهرة ، ١٩٧١م : ٢٩ ، ومعجم القواعد العربية في النحو والتصريف وذُيّل بالإملاء - عبد الغنـــي الدقر ، ط٣ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٢٢هـــ- ٢٠٠١م : ٢٠١-٢٠٢ .

(٦) شرح ألفية ابن مالك - أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك ، المعروف بـــ بـــ (ابن الناظم) (ت ٦٨٦هـــ) ، تحـــقيق : محمد باسل عيون السود ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـــ- ٢٠٠٠م: ٥٤٧ ، و ينظر : الفيصل في ألوان الجموع : ٣٠-٣٣، والصرف الواضـــح - عبد الجبار علوان النايلة ، دار الكتب ، جامعة الموصل ١٤٠٩هـــ- ١٩٨٨م : ٢٥١- ٢٥٢ .

(٧) وتسمى هذه الصيغة بالجمع المتناهي أيضاً لانتهاء الجمع إليها فلا يجوز أن يجمع بعـــدها مـــرة أخـــرى بخلاف غيرها من جموع التكسير ، ينظر : الكتاب : ٣٥٠/١ ، والنحو الوافي - عباس حســـن ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٩٤هـــ- ١٩٧٤م : ٢١٣/٤ ، والصرف الواضح : ٢٥٩ .

فمثال الأول : مساجد ، ومثال الثاني: مصابيح [١] ، وفي اختلافِ هذه الجموعِ ما يدلّ على لطف هذه اللغة في التمييزِ بين معاني الجموع [٢]، ومما أشارَ إليه السيوطيّ من الجموع :

فعال أفعِلة :

ذكرت كتب الصرف أنّ (فَعالا) يجمع في القلّة على أفْعِلة وهو جمع قلّة ، وذلك نحو سنام أسنمة ، وقذال أقذلة [٣]، وقد أشار السيوطيّ رحمه اللهُ إلى ذلك في أثناء شرحه لحديث الإسراء ، وفيه : ((قال جبريلُ عليه السلام لخازنِ السماء الدنيا افتحْ ، قال : من هذا ؟ قال: هذا جبريلُ ، قال : هلْ معكَ أحدٌ ؟ قال : نعم معي محمّدٌ ﷺ ، قال : فأُرسلَ إليهِ قال : نعم ،قال : ففتحَ فقالَ : فلمّا علَونا السماءَ الدنيا فإذا رجلٌ عن يمينه أسْوِدةٌ ، وعن يساره أسْوِدةٌ)) [٤]، قال قال السيوطيّ: " أسْوِدة بوزن أزْمِنة : جمعُ سواد ، وهو الشخصُ" [٥].

فاعل فواعل :

نصّت كتبُ الصرفيّين على أنّ ما كانَ من الأسماء على فاعل فإنّ تكسيره يكون على فواعل [٦] ، وهذا ما أوضحه السيوطيّ حين فسّر الحديث :((أراني ليلة عند الكعبة فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال له لمةٌ كأحسنِ ما أنت راءٍ من اللممِ قد رجّلها ، فهي تقطرُ ماءً متكئاً على رجلين (أو على عواتق رجلين) يطوف بالبيت فسألت من هذا ؟ فقيل : هذا المسيحُ بنُ مريمَ))[٧] ، قال: "عواتق جمع عاتق ،وهو ما بينَ المنكبِ والعنق"[٨].

فَعَلة أفعال :

من الجموع التي ذكرها الصرفيّون أفْعال: جمعاً لـ (فَعَلة) ،ومن هذا القبيل ما ذكرَهُ السيوطيّ في شرحه قولَ الرسولِ ﷺ : ((اللهمّ حولنا ولا علينا ، اللهمّ على الآكامِ والظرابِ وبطونِ الأوديةِ)) [٩] ، فنقل عن أهلِ اللغةِ أنّ الآكام بفتح الهمزة والمدّ: جمع أكَمَة ، وهي دون الجبل وأعلى من الرابيةِ ، والظراب بكسر الظاء المعجمة: جمع ظِرب بكسرها ، وهي

---

(١) ينظر: النحو الوافي : ٢٠٨/٤ ، والصرف الواضح : ٢٦٠ .

(٢) ينظر : الجموع في اللغة العربية - باكزة رفيق حلمي، مطبعة الأديب البغداديّة ، ١٩٧٢م : ١٢٣.

(٣) الكتاب : ١٩٢/٢ ، وينظر : المقتضب : ٢١٢/٢ – ٢١٣ ، وشرح الشافية : ١٢٥/٢.

(٤) صحيح مسلم : ١٤٨/١ ، حديث (١٦٣) .

(٥) ينظر : الديباج: ٢٠٤/١.

(٦) ينظر : الكتاب : ٢/ ١٩٨ ، والتكملة : ٤٣٣ .

(٧) صحيح مسلم ١٥٤/١ ، حديث (١٦٩) .

(٨) الديباج : ١ / ٢١٦.

(٩) صحيح مسلم : ٦١٢/٢ ، حديث (٨٩٧) .

الروابي الصغار [١] .

التصغيـــر

ظاهرة صرفيّة عرفتها العربيّةُ ودرسها الصرفيّونَ ، ووضـــعوا لهـــا قواعـــدَ وأصـــولاً وحدوداً ، وهو : "تغيير في بناء الكلمة يُحَوَّل به الاسم إلى صـــيغ التصـــغير المعروفـــة" [٢]، وصيغُ التصغيرِ ثلاثٌ وهي: فُعَيل وفُعيعِل وفُعيعيل [٣]،أما صيغة فُعَيل فهي للاسم الثلاثـــيّ ، فنقول في رجلٍ رُجيل ، وصيغة فعيعل للرباعيِّ المجرّد والمزيد والخماسيّ المجرّد والمزيـــد فنقول في جعفر جعيفر ، وفي عندليب عنيدل ، وصيغة فعيعيل للخماسيّ الذي قبل آخره مدّة ، فنقول في دينار دنينير [٤]، ومن قواعد الصرفيين أنّ التصغير يردّ حروف العلة إلى أُصـــولها، فنقول في تصغير ميقات وميزان وموسر : مويقيت وموزين ومُيَيْسِر [٥]، وهم يعنـــونَ بهـــذا الكلام أنّ الياء في الميقات والميزان أصلها الواو؛ لأنّها من الوقت والوزن ، وأنّ الـــواو فـــي موسر أصلها الياء لأنها من اليسر.

وقـــد مـــرّ السيوطيُّ على شيءٍ من هذا ، وذلك حين شرحَ الحـــديثَ الشـــريفَ:((كـــانَ موسى عليه السلام رجلاً حيّياً... فكان لا يُرى متجرّداً فقال بنو إسرائيل إنـــه آدر...فاغتســـلَ عنـــدَ مُويه)) [٦] ،

قال السيوطيّ : "فاغتســـلَ عنـــد مُوَيْه بضـــــم المـــيم وفتـــــح الـــــواو وسكـــــون الياء:تصغيرماء " [٧]، يعني أنّ (مُوَيه) تصغير ماء ، وهذه الأخيرة أصلُها ماه وهذه أصـــلها مَوَه ، فقلبت الواو ألفا لتحرّكها وانفتاحِ ما قبلها ، وكذلك قُلبت الهاءُ همـــزة ، فلمـــا صُـــغِّرت عادت إلى أصلها.

وفي الحديث : ((كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا كَبَّر في الصلاةِ سكتَ هُنيّةً)) [٨] ، قالَ السيوطيّ: السيوطيّ: "هنيّة بضم الهاء وفتح النون وتشديد الياء بلا همز: تصغير هنة ، والأصل هنيـــوة قلبت الواو

---

(١) ينظر : الديباج : ٢ / ٤٧٤.

(٢) عمدة الصرف : ١٥٥.

(٣) ينظر : التكملة : ٤٨٧ .

(٤) ينظر : الكتاب : ١٠٦/٢.

(٥) ينظر : م . ن : ١٢٥/٢ – ١٢٦.

(٦) صحيح مسلم : ١٨٤٠/٤ ، حديث (٢٣٧٢) .

(٧) الديباج : ٥ / ٣٥٥.

(٨) صحيح مسلم : ٤١٩/١ ، حديث (٥٩٨) .

ياء وأدغمت في الياء ، ومن همز فقد أخطأ ، وروي هنيهة وهو صحيح" [١] ، أصلها هنوة فلما صُغِّرت صارت هنيوة ، فاجتمعت واو وياء وسبقت إحداهما بالسكون ، فوجب قلبُ الواو ياءً فاجتمعت ياءانِ فأدغمت إحداهما في الأُخرى [٢] .

ووقف السيوطيّ على الاسم المصغّر أيضاً لدى تناوله الحديث المروي عن أنس بن مالك، قال : ((كانَ رسولُ اللهِ ﷺ أحسنَ الناسِ خلقاً ، وكان لي أخٌ يقالُ له : أبو عمير ... قال: فكانَ إذا جاءَ رسولُ اللهِ ﷺ فرآه قال :أبا عمير ! ما فعلَ النغيرُ؟)) [٣] ، فذكر أنّ النُّغير بضم النون : تصغير نغر بضمها وفتح المعجمة طائر، جمعه نغران [٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءت امرأة رفاعة إلى النبي ﷺ فقالت : كنت عند رفاعة فطلّقني فبتّ طلاقي فتزوجتُ عبد الرحمن بن الزبير ، وإنّ ما معه مثل هدبة الثوب فتبسّمَ رسولُ الله ﷺ فقال: ((أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا حتى تذوقي عُسيلتَهُ ويذوق عسيلتَكِ)) ،[٥] قال السيوطيّ : " عُسيلته بضم العين وفتح السين : تصغير عسله ، وهو وهو كناية عن الجماع شبّه لذّته بلذّة العسلِ وحلاوته ، وأنّثَ ؛ لأنّ في العسل لغتين التذكير والتأنيث ، وقيل على إرادة النطفة" [٦]، فقوله ﷺ: ((حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك)): كناية عن حلاوة الجماع، فكلّ مَنْ جامعَ حتّى يجوز الختانُ الختانَ فقد ذاق وأذاق العسيلة ، إذ الكناية إطلاق اللفظ وإرادة لازم معناه، فهنا أطلق اللفظ وهو ذوق العسيلة من طرفين، فالذهن ينتقل من الملزوم إلى اللازم، إذ الملزوم (الذوق) غير مراد، وإنّما المراد لازمه وهو حصول الجماع ؛ لأنّ التعبير به أجمل وأشرف وأنزه وأليق بالعبارة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم؛ والتصريح بلفظ هذه الكناية فيه حرج ونزول عن حدود الأدب؛ لأنه يقتضي أن يصارحها ويطلب إليها الطلب الشرعيّ ، فيقول: لا، حتّى يجامعك، فكنى عن ذلك بذوق العسيلة .

---

(١) الديباج :٢ / ٢٥٦ .

(٢) ينظر:المقتضب: ٢٤١/٢، وسر صناعة الإعراب - ابن جني ، دراسة وتحقيق : د. حسن هنداوي ، ط١ ط١ دار القلم ، دمشق ،١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م : ١٠٥/١.

(٣) صحيح مسلم : ٣ / ١٦٩٢ ، حديث (٢١٥٠) .

(٤) ينظر : الديباج : ٥ / ١٧٦ .

(٥) صحيح مسلم : ٢ / ١٠٥٥ ، حديث (١٤٣٣) .

(٦) الديباج : ٤ / ٤٥ .

المذكــر والمؤنـــث

يذكر أهل اللغة أنّ الأصل في الأسماء التذكير ، ومن ثمَّ إذا انضمّ إلـــى التأنيـــث فـــي الأعلام التعريف لم ينصرف [١] ، ولمّا كانَ التذكير والتأنيث معنيينِ من المعاني وجب وجـــود علامة تميز هذا من ذاك غير أنّهم اقتصروا على وضع علامة للمؤنّـــث ؛ لأنّ المـــذكر هـــو الأصل كما ذكرنا [٢]، وهذه العلامة على ثلاثة أنواع : الألف الممدودة ، والألف المقصـــورة، والتاء ، نحو صحراء وذكرى وغرفة [٣]، وتجبُ معرفة المذكّر والمؤنّث ؛ لأنّ معرفتهما مـــن تمامِ معرفةِ النحو والإعرابِ ، فمن ذكَّر مؤنثاً أو أنَّث مذكراً كمن نصب مرفوعـــاً أو خفـــض منصوباً [٤]، ثمّ إنّ المؤنث يقسم بعد على قسمين: حقيقيّ ، وغير حقيقيّ ، فالحقيقي كـــامرأة ، وغير الحقيقي : ما لحق باللفظ ولم يكن فيه معنى أنثى كالبشرى [٥]، وممّـــا أورده الســـيوطيّ من المذكّر والمؤنّث(العشر) ، فهي عنده مما يشترك فيه التذكير والتأنيث ،غيـــر أنّ التأنيـــث أكثر في الأحاديث وكلام العرب ، ومنها أحاديث صحيحة وردت في طلب ليلـــة القـــدر فـــي العشر الأواخر من رمضان ، وممّا جاء منها دالّا على التذكير:((أنَّ رســـولَ اللهِ ﷺ اعتكـــفَ العشر الأوسط ، ثم قال أُتيت فقيلَ لي : إنّها في العشر الأواخر)) [٦] ، قال السيوطيّ:" العشـــر الأوسط كذا في الأصول ، وتذكير العشر لغة باعتبار الأيّام أو الوقت أو الزمان ، والمشـــهور تأنيثه" [٧].

الإعـــلال والإبـــدال :

إنّ لفظ الإعلال في اصطلاح الصرفيين "مختصّ بتغييرِ حروفِ العلّةِ : أي الألف والواو والياء ، بالقلبِ أو الحذفِ ، أو الإسكان" [٨] ، ومردّ هذا التغيير الصوتيّ الذي يطرأ على بينة الكلمة في أثناء تعامل الأصوات المصوتة : حصولُ نوعٍ من الانسجام بينها ، ويتحكّم في مسألة الانسجام ، الذي هو التماثل الصوتي ، نزوع اللسانِ نحو الخفّة حينَ النطق

---

(١) ينظر : التكملة: /٢٩٣ ، وشرح المفصّل : ٨٨/٥.

(٢) ينظر : شرح المفصل : ٨٨/٥.

(٣) ينظر : م . ن : ٨٨/٥.

(٤) ينظر : المذكّر والمؤنّث - أبو بكر الأنباريّ (ت٣٢٨ هـــ) ، تحقيق : د. طارق عبد عـــون الجنـــابيّ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٨م : ٨٧/١.

(٥) ينظر : شرح المفصّل : ٩١/٥ – ٩٢، والبحث النحويّ واللغويّ عند الإمام النوويّ : ٩٦ .

(٦) صحيح مسلم : ٨٢٤/٢ ، حديث (١١٦٧) .

(٧) الديباج :٣ / ٢٥٨.

(٨) شرح شافية ابن الحاجب - رضي الدين الاستراباذي : ٦٦/٣ -٦٧ .

بالأصواتِ المصوتة [١] ، يقولُ سيبويه : "كان العمل من وجه واحد ورفع اللسان من موضع واحد ، أخّف عليهم" [٢] ، وتأثّر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض نوعان : رجعيّ : وفيه يتأثّر الصوت الأوّل بالثاني ، وتقدميّ : وفيه يتأثّر الصوت الثاني بالأوّل [٣] .

ونبّه السيوطيّ على (الإعلال بالحذف) لدى وقوفه على الحديث المروي عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : ((طافَ النبيُّ ﷺ في حجّة الوداع على راحلته بالبيت ، وبالصفا والمروة ليراه الناس ، وليشرف وليسألوه ، فإنّ الناس غشُوه)) [٤] ، فذكرَ السيوطيّ أنّ الروايةَ الصحيحةَ في (غشوه) بضم الشين [٥] ، وهو الصحيح ؛ لأنّ أصلَهُ : غشيوه ، استثقلوا الضمّة الضمّة على الياء ، فنقلوها إلى الشين ، فسكنت الياء ، فلمّا اجتمعت مع الواو الساكنة حُذفت الياءُ لالتقاءِ الساكنينِ، فهذا نوعٌ من الإعلالِ راجعٌ إلى الحذفِ لالتقاءِ الساكنين [٦].

وأمّا **الإبـــدالُ :** فهو "جعل مطلق حرف مكان آخر ، فخرج بالإطلاق الإعلال بالقلب ، لاختصاصه بحروف العلة ، فكل إعلال يقال له إبدال ولا عكس" [٧] .

ولــدى وقوف السيوطي على الحديث المروي عن جابر بن عبد الله ﷺ : أنّ رسول الله ﷺ نهى عن المحاقلة والمزابنة والمخابرة وأن تشترى النخل حتى تشقه ، ... وفي رواية: حتى تشقح [٨] ، قال : " تُشْقه بضم التاء وسكون الشين وتخفيف القاف ، ومنهم من فتح الشين ، تشقح بوزنه ومعناه ، وقيل إنّ الحاءَ بدلٌ من الهاءِ كما قالوا مدحَهُ ومدهَهُ " [٩] ؛ ؛ إذْ ليسَ ثَمّ فرقٌ بينَ الحاءِ والهاءِ من الناحيةِ الصوتيّةِ ، فكلاهما مهموس .

---

(١) ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه - د. نوزاد حسن أحمد ، ط١ ، منشورات جامعة قاز يونس ، بنغازي ، ١٩٩٦م: ١٤٥ .

(٢) الكتاب : ٥٠٧/٤ .

(٣) الأصوات اللغوية - د. إبراهيم أنيس ، ط٥ ، مطبعة الانجلو ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م : ١٨٠. ١٨٠.

(٤) صحيح مسلم : ٢ / ٩٢٦ ، حديث (١٢٧٣) .

(٥) ينظر : الديباج : ٣ / ٣٥١ .

(٦) شرح شافية ابن الحاجب - أبو الفضائل ركـن الدين الحســن الاسـترابادي (ت٧١٥هـ)تحـقيق د.عبدالمقصود محمد،ط١، مكتبة الثقافة الدينية ،القـاهرة،١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ٢ / ٨٤٤ ، وينظـر : الصرف الواضح : ٣٤١.

(٧) شذا العرف : ١٣٥ .

(٨) صحيح مسلم : ٣ / ١١٧٢ ، حديث (١٥٣٦) .

(٩) الديباج : ٤ / ١٥٦ .

الخاتمـــة

وبعدَ هذه الجولةِ المباركةِ بصحبةِ (كتاب الديباج على صحيح مسلم بن الحجّاج) ، نقدّمُ خاتمةً تعرضُ ما كشفَ عنه هذا البحثُ الذي تبيّنَ من خلاله أنّ السيوطيّ من العلماءِ الأجلاءِ ، كما كشفَ البحثُ عن القيمةِ العلميّةِ لكتابِ (الديباج) ، ومكانته المرموقة بينَ شروحِ الحديث .

جاءَ هذا البحثُ ليكشفَ عن جهودِ السيوطيّ الصرفيّة ، فكانَ لَهُ اهتمـــامٌ خـــاصّ بعلـــمِ الصرفِ لذا كانت بصمتُه الصرفيّةُ واضحةً في شرحهِ من خلالِ تعليقِه على المسائل الصرفيّةِ فضلاً عن عرضِ مهارتِه الصرفيّةِ في توجيهها ، فقد عنيَ بتوجيهِ حركةِ عينِ الفعلِ،وتوجيـــه المجرّد وهو الفعل الذي خلا من أحرفِ الزيادةِ ، أي أنه مؤلّفٌ من حروف أصول ليس فيهـــا حرف زائد ، والزيادة : ما زيدَ على أحرف الكلمة الأصليّة حـــرف أو أكثـــر لغـــرضٍ مـــن الأغراضِ ، ومن ذلك ما نقلَهُ السيوطيّ عن أهل اللغة أنّ الخداج - بكسر الخاء المعجمـــة – هو النقصان ، ويقال :خدجت الناقة إذا ألقت ولدَها قبلَ أوانِ النتاج ، وإنْ كانَ تـــامّ الخلـــق ، وأخدجته: إذا ولدته ناقصاً وإنْ كانَ لتمامِ الولادةِ ، ولمّا كثُرت الأبنيةُ في كـــلام العـــرب وزادَ استعمالُهم لها وضعوا بناء موضع بناء ، وانتقلوا من بناء إلى آخر لا يشبهه في تأديةِ الغرضِ الذي وضع له في أصلِ وضْعِه، فأينَ بناء (فاعل) من (مفعول) ، ووضعوا بناء ليـــدلّ علـــى بناءينِ كما في (فعول) فهو يكون بمعنى (فاعل) تارةً وبمعنى مفعول تـــارةً أخـــرى أو بنـــاء (فعيل) ، وقد كانَ للسيوطيّ نصيبٌ من هذا الدرس الصرفيّ ، وممّا جاءَ عنده فعيل والمـــراد به مفعل مثل جميل بمعنى مجمل ،ونبّهَ على الاختلافِ الذي يحصلُ في المعنى عندَ اخـــتلافِ الحركةِ ، من ذلك : المطهرة بكسر الميم وفتحها كلّ إناء يتطهّر به ، وهما لغتان مشهورتان ، فمن كسرها جعلها آلةً ، ومن فتحها جعلها موضعَ الطهور، وعنيَ بالقلبِ المكانيّ وهو تقـــديمُ بعضِ أصواتِ الكلمةِ على بعضٍ ، مثل جلبة ولجبة ، وكانت له وقفاتٌ متعددة عندَ المصادرِ ، وكشفَ البحثُ عن عنايةِ السيوطيّ بالاشتقاق ، وأثر الوزن في تحديد الدلالة ، وأشـــارَ إلـــى العلاقةِ المعنويّةِ بينَ الصيغِ المتعددةِ في المادةِ الواحدةِ ، وذهبَ إلى أنّ الدلالةَ الحســـيّةَ هـــي الأصل والمعنويّة أخذت منها ، وهذا ينسجمُ معَ نظرةِ علمِ اللغةِ الحديثِ ، كالمخابرة : مشـــتقة من الخبار ، أي الأرض الليّنة الرخوة ، وتوّجَ هذا البحث بالكشفِ عن جهودِ الســـيوطيّ فـــي موضوعاتٍ صرفيّةٍ متنوّعةٍ من جموعٍ ، وتصغيرٍ ، وإعلالٍ ، وإبدالٍ .

اللهُمَّ لا علمَ لنا إلا ما علَّمتنا، فلكَ الحمدُ على ما أنعمتَ، وصلّى اللهُ على نبينا محمّدٍ، وعلى آلِه وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.